

تربية الاطفال على سنن الدين

ان أولى ما تصدر به الصحف وتجري بمداده الاقلام تربية النشأ المضاع وبث روح المشارب الوطنية في روعه الحالي ، نعم ان أكبر اساس يضمن الفوز ويرتكز عليه نجاح اطفال الشعب افراداً وجموعاً السير بهم صوب خطة الدين المقدسة فانها الكفيل الامين والضامن المتين لسعادة رجال المستقبل هنا وهناك .

وحتى لو حاول المحرومون من اعتبار الاديان ابراز امر آخر غير الدين لانتظام حال البشر لذهب سعيهم سدى ولم يظفروا من تلك الغنيمة بسوى الاياب ، فهذه الحكومات كما ترى تشاهد لها السلطة النافذة على ظواهر البشر وما يمكن الاطلاع عليه من احوالهم بيد أن ما يضمرونه في خوالجهم من الافكار الرديئة وما يخفونه طاقاتهم من الاعمال السيئة لم يكن للسلطة المحلية يد في السيطرة عليه .

وهنا نلفت النظر قائلين : فكيف العمل اذ ذاك — والشرف النفسي الذي تسند اليه الاستقامة ، ونتيجة تعميم نشر المعارف التي يقال عنها انها تتكفل بانتظام حال الشعوب ، هما امران غير عامين في النوع البشري ونشر ذلك وتعميمه يفتقر إلى ظروف طويلة تنقضي بالجد والاجتهاد في تعميم المعارف وبث روح الشرف النفسي في أنفس الامم ، وأثر ذلك فبهيات أن يقف هاذان الامران تجاه فتنة الشهوة وحب المال — من يكفل لنا أن ذا الشرف النفسي والممتلي بالمعارف غير الدينية لو اختلي بأجل امرأة تميل نفسه اليها وأمن اطلاع احد عليه ووقوعه تحت طائلة جزاء الحكام تنجو منه تلك المرأة ولا يفترسها ويسلب عرضها ثم يقتلها ويخفيها أن رأى مصلحته بذلك ،

ومن يضعن لنا أن ذلك الرجل اذا أمكنه الحال أن يزهد نفس ذي مال ويعدمه الحياة ويستولي على ماله الوافر من غير أن يشعر به أحد ولا يأخذ سطوة الحكام لا يقدم على ذلك أسرع الاقدام ؛ لا أظن أن انساناً يتجرأ على ذلك الضمان وأن تجرأ احد فترى أنه مخذول العاقبة كما يبدو للمفكر المنصف .

لكن نحن نكفل صاحب الدين الذي قام في وجهه وازعه وتمكن في قلبه خوف الباري جلّت عظمته وراقب في ضميره أن الحق سبحانه مطلع عليه في كل حركاته وخطرات قلبه أن يقع شهوته عن أجمل النساء ويزجر طمعه عن أموال سواه ولو اطمأن عاقبة الاطلاع وكانت تلك الاموال خزائن الارض لا تقول بعصمته ولكن يقال أن ذلك هو المرجو من تقواه والمأمول من خشيته ، فوجود رقيب الخوف من الرب سبحانه ومسيطر التقوى لا يفارقانه غالباً لا جهراً ولا سراً وحالة الامن من اطلاع البشر .

وهذا هو الفارق بينه وبين صاحب شرف النفس وحلية المعارف الدنيوية ، أجل قد يزایل صاحب الدين رقيه المسيطر عليه لدا حدوث الغفلة في ربوع له بيد أنه من النادر في شأنه ، وعلى كل فالامن من شره أكثر وأوفر بأضعاف من ذي الشرف والعلم غير الديني ، مما يظهر لك حاله واضحاً : أن صاحب الدين الملازم له ما كان قرنه المضاد ليساويه مهما تسامى شرفه النفسي وازدادت معارفه الدنيوية .

فالدين إذاً هو الحال الاكمل في الهيئة الاجتماعية وشمول الطمأنينة وارتفاع الشرور من الكون أو قلتها جملة وهذا ما لا يحجده مومن حر احتمى بدروع ملته السمحة .

فاذا كان دينك أيها المسلم الغيور بهذه المثابة وتلك النتيجة الفضلى فعلى امتك وابناء قومك أن يربوا أطفالهم

على قانونه ويطبعوا في قلوبهم لاول نشأتهم وشرح شبابهم اصوله وفروعه المتكفلة بانتظام حالهم وسعادة مآلهم وبذلك تحسن الهيئة الاجتماعية التي هم أفرادها وأعضاؤها .

وليس الغرض أن يحيط كل فرد من أبناء جلدتنا بجميع أصول الدين وفروعه فذاك ما لا يتيسر لنزوح امكانه وليس من المشروط في انتظام الحال ، بل المراد بلوغ كل فرد من أبناء الامة القدر اللازم له من صبغة الدين المتكفل بصحة عقيدته وعبادته ، فعرفة العقيدة هي فرض على المكلف البالغ العاقل لا مناص منه كما أحكام الصلاة والصوم متى جاء رمضان وأما الزكاة فان ملك نصابها فيجب عليه معرفة حكمها وإلا فلا وكذلك الحج ، وهاكذا الحال في بقية العبادات فيما يفترض على المكلف منها يجب عليه معرفة أحكامه والقيام بما يناط به من الكلفة ، ثم يعرف ما أوجب الله عليه من الطاعة لخليفة الرسول العادل وما يفرض عليه من وجوب حفظه لعهدده وأمانته في خدمته ثم الخطة التي يسلكها من طرق المعاش يلزمه معرفة احكامها فان سلك طريق التجارة وجب عليه معرفة البيع والشراء وما يحرم وما يحل وان رام سبيل الصناعة فكذلك وهكذا نعم ما لا يسلك طريقه لا يجب عليه معرفة احكامه الشرعية ، ثم عليه أن يعرف المحرمات في الدين كي يجتنبها من نحو الزنا والسرقه وشرب الخمر وأمثال ذلك من الموبقات المصرح بها في نصوص الدين ، وأما الاخلاق المضاعة رغم كونها المقدمة الاولى من مقدمات الحياة الاجتماعية فافتراض معرفة المحظور منها في الشرع والذي يجب التحلي به على كل فرد من افراد الامة هو قدر ثابت لدا المبادئ الاسلامية كشوت بقية الفروض وسائر المحرمات فيلزم علم احكامها على كل احد بعينه فيجب أن يعرف حرمة الحسد والحقد وأمثالها ويقوم مشمراً اردانه للتخلي

عن فظاعة ذلك وما يثول اليه مما هو لدينا ماثل صباح مساء متصفاً وقته بالرضى والصبر على ما تجري به المقادير والتحلي بكل ذلك طبق صريح النصوص الشرعية وما صدع به حامل لوائها المقدس عليه السلام .

ولكن من الغريب أنه توجد شبهة عمياء عند جم غفير من الجهلاء يتوهمون بمحسهم الخامل أن أمر الاخلاق وأحكامها هو شيء خاص بأهل الورع والتصوف حتى اذا نهوا عن خلق محرم في الشرع كالحسد والسعاية أو أمروا بخلق واجب كالين الجانب وطيب القول والرضى كان جوابهم : هذا أمر له رجال رضي الله عنهم يعنون بهم الصوفية ، والحال أن تلك الاخلاق الغريبة المضاعة ضياع القسم عند الكاذب نحن فيها سوية لا فرق في أحكامها شرعاً بين عموم افراد الامة فيحرم على كل فرد رذائلها ويجب عليه التحلي بفضائلها بل هي أكبر المقاصد في شرائع الدين حتى ما بعث نبينا صلوات الله عليه الا ليتم مكارم الاخلاق .

ويبدو أن تلك الشبهة قد طرأت على أولئك الجهلة حينما يرون غالب الاحيان ان رجال التصوف هم المتكفلون في كتبهم بالكلام عليها كما أن الفقهاء تكفلوا بالكلام على المحرمات والفرائض الظاهرية وعلماء الكلام تكفلوا بالبحث في العقائد الخ وليس الامر ذاك سوى توزيع شرح تلك المطالب بين أولئك الطوائف ليقضي كل منهم وظيفة تهمه على طريقة التعاون في تلك الدوائر لا لأن شيئاً منها يقصر على ناس دون آخرين فيتراعى الرجل بطفله وفلذة كبده في تلك الهوة الساحقة هوة الغش له ولنفسه وللهيئة الاجتماعية وهو لا يشعر .

ترى الواحد منهم بمجرد ما يتعلم ولده القراءة والكتابة يقوده الى السعى على معاشه بالبيع والشراء أو بصنعة من

الصنائع أو شبه ذلك دون أن يصحح عقيدته اذ يعتمد على كون الولد يعرف أنه مسلم ويعظم الله والرسول من غير أن يبعثه على تعلم احكام العبادات الواجبة عليه ، بل يكتفي أن يقول له توفضاً صلّ صم الخ دون أن يثبت في غصنه الرطب ما به تصح تلك العبادات وما به فسادها إلا قليلاً نادراً وقد لا يلفت نظر ابنه المسكين لحقوق خليفته الا ما هو مشهور منها لدى السواد الاعظم ، كما يقتنع بتعليمه شيئاً من المحرمات المشهورة وقد يفوته الكثير الوافر منها ، وأما الاخلاق فياحسرتاه عليها قل أن يعتني بشأنها كثير من الاباء بل ربما تجدد بعضهم يغرس بجهله أخلاقاً سيئة في نفوس أولاده كالكبر والعظمة والحسد والحقد والبخل والبذاء وأمثال ذلك وهو يظن أنه يعلمه مكارم الاخلاق فلا حول ولا قوة الا بالله ، الامر الذي يمكن أن يتعسر اثناء نجاح الابن في درسه الاخلاقي (لو وجد) ضرورة أنه طبع في شرح نشوئه وغضاضة شبابه وعنفوان حياته على السفاهة وخفة العقل ومساويء الاخلاق فيا لضيعة الادب بمنزلة الحيا ومخالفة البذا .

أما أحكام المعاملات فن الجلي ان جل الاباء يفوض تعليمها لاولادهم الى التجربات ووقوعات الظروف كأن الشريعة الغراء قصرت عن ضبطها ووضع قوانينها ضمن الجهل ورجاله فبر بك قل لي أيها المسلم الحر أيؤمن على الولد الذي يهمله ذلك الاهمال أن تنقضي حياته وتنفذ انفاسه وهو مختل العقيدة يندفع احياناً لا اعتقاد ما يكفر أو يفسق على الاقل وهو لا يشعر كونه فريسة في براثن الجهل الفتاك ، أيؤمن عليه أن تكون عباداته فاسدة غير مقبولة وهو لا يعلم ، ألا يخاف أن يجري سراً ما يخالف رضاء ولي امره ومحسب من خوره وجهله أن ذلك هين لا يضر وهو في الحقيقة عظيم ، ألا يخشى عليه أن يرتكب محرمات

كالغش والخديعة وهو يخال نفسه سالكة سبيل الاستقامة .

أما يخاف عليه أن يصبح وحشاً من الوحوش متكبراً متعاضماً حسوداً حقوداً طماعاً ضجراً كافراً لنعم ربه غير شاكر أضف لذلك ما اذا أصبح جاراً في أيام سعيه لجيران جهالة غير مستقيمي الاحوال أفلا يقتبس منهم كل وصف رذيل وخطة ذميمة فيغش بيعاً وشراءً ويختلس كل ما بلغته يده الاثيمة ويحلف الايمان الكاذبة رغبة في نفاق سلعه ، ويخون ويخدع ما استطاع لا سيما من يخالفه في الدين ظناً منه اباحة ذلك شرعاً ويس الظن حضرة الجاهل ، ولو كانت قوانين المخالف تساعد فتلك مبادئه ، والعجب كل العجب من ابن الجهل كيف يزعم في نفسه ان جميع ما يجريه يعد من نوع النشاط والاقتدار على المكاسب وان هذا الحال يبلغ النهاية في الفظاعة اذ سرعان ما يصبح مرتكبه سارقاً مختلساً خداعاً مكتسب الحرام وهو جالس في دكانه يفتخر هو وأبوه أنه صار معدوداً من التجار أو الصناع الماهرين ، ذاك فاذا سألت والده ومشاركه في الحوب هل ترضى أن يكون ولدك سارقاً مختلساً كذاباً مخادعاً مدنس الذمة خواناً في الحقوق التي سوف يحاسب عليها يوم العرض والحساب يقول : لا والله لا والله ، فلنقل لذلك المسكين ان ولدك قد اتصف بكل ذلك وهو قاعد في خانوته وانت وهو لا تعلمان ذلك منه ، ولا ذنب سوى تفريطك في تعليمه القدر الذي كان يدفع عنه تلك المهالك ويحليه باضدادها من الكمالات .

فلو أن اولائك الاباء والاوصياء انتبهوا لما حررتهم الشريعة الاسلامية وهدت اليه وصرفوا همهم لتغذية اولادهم القدر اللازم من التربية الشرعية حتى تسلم مهجهم من تلك العوائل الفتاكة لكانوا قد ادوا حقوقهم وأخلصوا لهم النصح حقيقة ونصحوا الهيئة الاجتماعية واثبوا الثواب

٤ نشأة الادب العربي بالمغرب

في عهد الدولتين المرغوية واليفرنية

(٣)

وكان زير بن عطية الذي تكلمنا عليه في العدد الاخير ذا شخصية قوية ممتازة والياً جباراً ما ظفر بعدوه الا أهلكه وكان بضاهيه رجل يفرني في القوة والرياسة والحسب والمال وهو يد بن يعلى اليفرني من أعيان قبائل زناتة وكانت الحرب بينهما سجلاً وكانت الرعية في شغب عظيم وتعب كبير بسبب الحروب الكثيرة التي كانت بين هذين الرجلين فكان اذا غلب احدهما الاخر دخل الغالب الى العاصمة الكبيرة فاس فلما ذهب زير بن عطية الى الاندلس انتهر الفرصة خصمه الالد وأغار على العاصمة وأخذها فوصل الخبر الى زير بن عطية وهو راجع من الاندلس فأغذ السير والتقى مع خصمه فظفر به وحز رأسه وأرسله الى الخليفة المنصور ، عند ذلك صفا لير بن عطية الجو وأمن من غوائل الدهر ، قال صاحب الاستقصا : وصفا له المغرب ولم يبق له منازع وهابته الملوك وبقي الامر مستقيماً بينه وبين المنصور في الظاهر فسمت همته الى بناء مدينة تكون خاصة به ويقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيد أسوارها وأحكم قصبته وسكنها بأهله وحشمه ونقل اليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وثغراً للعماليتين - المغرب الاقصى والايوسط - وذلك سنة ٣٨٤ ، ويقول الفقيه محمد ابن عبد السلام السائح في كتابه المنتخبات العبرية : ان الذي أسس وجدة هو يد بن يعلى اليفرني ولم أدر من أين أتى بهذه القولة الغربية وقد اختص بها دون سائر المؤرخين .

انقضت أيام زير بن عطية وتوفي وهو مخالف للمنصور بن أبي عامر من جراحاته التي أصابته في الحرب مع عبد الملك المظفر ولد المنصور وخلفه ولده المعز بن زير بن عطية وصالح المنصور وقام بدعوته ورجع الى طاعته وبقي موالياً له الى أن توفي المنصور وولي ابنه المظفر فبايعه وأدى له رسوم الملك من هدايا وتحف فولاه على سائر بلاد المغرب حواضره وبواديته وذلك سنة ٣٩٣ وشرط على المعز أن يعطيه مالاً معلوماً وخيلاً ودراً يوصل ذلك الى قرطبة

الجزيل وأصبحنا في الهناء والرفاهية وكال الامن في المعاملات وقضينا العمر بنعيم والله ولي التوفيق .

ثم لا يخطر ببال القارئ من سياق هذه الكلمة أن سلوك سبيل الاستقامة هو مأمور به من لدن الشريعة الاسلامية فحسب كلا بل سنته سائر الشرائع الالهية خصوصاً شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ، حول كل المصلحات للنوع البشري والمهذبات لاخلقه والمنتجات استقامته وصلاح حال المجتمع والامن على الحقوق وانتشار السلام لا سيما في امر الاخلاق والدعة واللين في شريعة سيدنا عيسى عليه السلام فكل من يحيط علماً بوصاياها يستنتج أنها مبنية على السلام والتباعد عن كل شر يسيء النوع الانساني .

فالما الامم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا

الجراري

قدماء المحاربين

سيعقد قدماء المحاربين مؤتمرهم هذا العام بعاصمة الجزائر في سادس ابريل المقبل ، وكثيراً ما يتناول قدماء المحاربين في مؤتمرهم السنوي أهم المسائل العمرانية وبيحثونها بحثاً مستفيضاً يكون له الاثر الفعال في الرأي العام وفي الدوائر الرسمية مراعاة لمكانة قدماء المحاربين بين طبقات الامة ، ولتجرد بحوثهم عن السياسة وخلافات الاحزاب ، وقد أظهروا في كل مؤتمراتهم السابقة اعتناء كبيراً برقائهم المسلمين الامر الذي يدل على تمسك قدماء المحاربين بمبادئ المساواة الذي كان خير رابطة بين الجميع في ميادين الحرب العالمية ، وبهاته المناسبة نلفت النظر الى ما كتبناه على صفحات المجلة في شأن المجاعة المنتشرة بين اخوان هؤلاء المحاربين المسلمين سواء في المغرب أو الجزائر وتونس وما يوجب ذلك من عناية وتنظيم ، فنرجو من قدماء المحاربين الافاضل أن يهتموا بهاته المسألة اهتمامهم بكل ما يرفع من شأن فرنسا والاقطار المحمية بها ، وبذلك يزيدون عملاً آخر الى ما أسلفوا من أعمال مشكورة .